الفكر الإسلامي
على ضوء القرآن الكريم

الفكر الإسلامي
على ضوء القرآن الكريم

سلسلة دروس قرآنية للإمام القائد

السيد علي الخامنئي (ده)

ألقاها في مسجد الإمام الحسن المجتبى (ع)
في مشهد في شهر رمضان المبارك
من العام ١٣٥٣ هـ.ش.
الموافق للعام ١٩٧٤ ميلادي

جمع وتنظيم النص
مركز صهبا

ترجمة
السيد عباس نور الدين

© جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-045-6

[٢٠١٥م – ١٤٣٦هـ]

دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

العنوان: لبنان – بيروت – سان تيريز – سنتر يحفوفي – بلوك c - ط ٣
تلفاكس: ٠٠٩٦١٥٤٦٢١٩١ – email: almaaref@shurouk.org

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الآراء والاتجاهات والتيارات الوارد الحديث عنها في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن توجهات **دار المعارف الحكمية** وإن كانت تقع في سياق اهتماماته المعرفية

الفهرس

كلمة الناشر ٩
كلمة مركز صهبا ١٣
مقدّمة المؤلف ٣٧

الإيمان

الإيمان (١) ٤٥
الإيمان (٢) ٦١
الإيمان الواعي ٨١
الإيمان وليد الالتزامات العمليّة ومصاحبها ١٠١
الإيمان والالتزام بالمسؤوليّات ١١٩
البشائر ١٤٣
البشارات ١٦٣

التوحيد

التوحيد، الرؤية الكونيّة الإسلامية ١٨٧
التوحيد في الأيديولوجيّة الإسلامية ٢٠٩
العبادة والطاعة المنحصرة باللّه ٢٣٣
روح التوحيد ونفي العبوديّة لغير اللّه ٢٥٣
التوحيد ونفي الطبقية ٢٧٧

الآثار النفسيّة للتوحيد ٣٠١

النبوّة

فلسفة النبوّة ٣٢٧
البعثة في النبوّة ٣٥١
البعثة الاجتماعية للنبوّة ٣٧٧
أهداف النبوّة ٤٠٧
أوّل ترانيم الدعوة ٤٣٥
الجماعات المعارضة ٤٦٣
عاقبة النبوّة (١) ٤٩١
عاقبة النبوّة (٢) ٥١٥
التزام الإيمان بالنبّوة ٥٣٩

الولاية

الولاية ٥٦٥
روابط الأمّة الإسلامية ٥٩٣
جنّة الولاية ٦١٥
حول الولاية (١) ٦٣٩
حول الولاية (٢) ٦٦٣
حول الولاية (٣): الهجرة ٦٨٩

لائحة المصادر والمراجع ٧١٧

كلمة الناشر

في سياق السعي الحثيث والمستمر لتقديم الثمارات اليانعة للفكر الإسلاميّ الأصيل للقراء، يقدم **دار المعارف الحكمية** هذا الكتاب. فهو بدون شكّ أحد أهمّ الركائز النظرية والمؤسسة لرؤى الفكر الإسلامي الأصيل. والدار إذ يقدم لقرّائه هذا الكتاب، واضعًا إياه في السياق السابق الذكر، فإنّه ينطلق من إدراكه لما لهذا الكتاب من خصائص هامة نجد من الضرورة الإشارة إليها.

فالكتاب – أولًا – يلقي الضوء على النتاج المبكر للإمام الخامنئي دام ظله قبل الثورة الإسلامية المباركة، فيمكننا بالتالي من خلاله التعرف على نصٍ شكل رافدًا من روافد النهوض الإسلاميّ، ويمكن اعتباره بحدِّ ذاته دعامةً من أجل بناء وعيٍ إسلاميّ أصيل، يندمج مع متطلبات الواقع ليؤكد على قدرة الإسلام في إنتاج رؤية متكاملة للحياة.

والإمام من خلال تفسيره للقرآن وطريقة عرضه للأفكار، كان يردّ على نزعة كانت مستشريةً في ذلك الحين، كانت تعتبر الدين مجرد دعوة روحانية بعيدة عن متطلبات الحياة؛ فهو أشبه ما يكون بتجربة روحية-دينية تتجه باتجاه الآخرة، وتقطع العلاقة مع سلوكية الناس وعملها، ليؤكّد أن الدين والرؤية المؤسسة على القرآن الكريم

شاملة وتفصيلية، لم تترك جانبًا من الجوانب الحياتية دون معالجة.

ثم للكتاب ثانيًا خاصية أنه يذهب باتجاه موضوعات عقائدية، ويعالجها بشكل مختلف عن المتعارف عليه والمألوف منه. فكما هو معلوم أنّ الكتب العقائدية أولت الجانب الذهني أهميةً كبرى، وطرحت مقولاتها على أرضية المفاهيم المجرّدة، واهتمت بالإثبات والإجابة عن الشبهات. بينما يعرض الإمام في هذا الكتاب الموضوعات هذه انطلاقًا من عملية بناء المسؤوليّة والالتزام العملي. هذه الخاصية وإن تكاملت مع الأولى، ولكنّها ألقت الضوء على قراءة جديدة للاعتقاد الديني من خلال فاعلية الإنسان المسلم، فالإمام الخامنئي دام ظله لم ينظر إلى الدين من زاوية ذهنية محضة، بل تحوّل معه إلى عملٍ ذي طبيعة إرادية، تسعى إلى تحقيق مقاصد وجوهر الدين بما هو متوجه إلى إنسان يعيش في العالم ويتفاعل معه.

وإن كانت هاتان الخاصيتان وحدهما كافيتان لنشر الكتاب، إلا أنّ ما يميزه قد يكون أكثر عمقًا. فالإمام من خلال معالجته التفسيرية لآيات القرآن الكريم يبني منهجيةً متكاملة، تقوم على أساس جدلية النص والواقع. فيؤكد على ضرورة الارتباط بالنص وعدم الانفكاك عنه، بما هو مصدر التعاليم الإسلامية السامية، ويطلب من الإنسان المؤمن بحقانية هذا النص ديمومة سؤاله ليصل إلى الإجابات الشافية، وهذه هي منهجية يؤكد عليها في أكثر من مناسبة، ويدعو من خلالها إلى إعادة قراءة العلوم الإنسانية على أساسها.

يُضاف إلى ذلك كلّه أنّ الإمام، من خلال هذا الكتاب، يشرح

المشاكل التي تمرّ بها الإنسانية والنابعة من الخلفية المادية التي اعتمد عليها المجتمع في بناء حضارته المعاصرة، وهو في هذا الموضع يضع الإصبع على الجرح من خلال تأكيده على البعد الإيماني وأهميته في بناء علاقة الإنسان بالعالم، فهذا الكائن لن يستطيع أن يصل إلى حقيقة وجوده بمعزل عن اللّه عزّ وجلّ.

فقد يجوز منا القول إن هذا الكتاب استثنائي بكلّ ما للكلمة من معنى، فهو يعود بنا إلى زمن الثورة الإسلامية، ويضع أمامنا مثالًا لنصوص أشعلت الوعي بفاعلية الإسلام وقدرته على الاستجابة لمتطلبات العصر، كما أنّه يعيد ربط العقيدة بالواقع والحياة.

و**دار المعارف الحكمية** إذ يضعه بين أيدي القراء، فإنّه يستهدف منه من استهدفهم الإمام بشكل أساسي في دروسه، وهم الشباب. هؤلاء الذين رأوا الدولة الإسلامية، ولكنّهم لم يتعرفوا على النبض الذي بثّ فيها، وكان الحافز لقيامها.

ولا يفوتنا في ختام هذه الكلمة شكر الإخوة القيّمين على **مركز صهبا** في الجمهورية الإسلامية في إيران، الذين بذلوا في تجميع المادة وتحريرها جهدًا مباركًا يشكرون عليه؛ كما والإخوة في **معهد المعارف الحكمية** الذين تحملوا عناء الإشراف على ترجمة النص وتحريره باللغة العربية ليتيسّر تقديمه لقراء اللغة العربية، كما والمترجم الأخ السيد عباس نور الدين، وفقهم اللّه جميعًا لكل خير.

كلمة مركز صهبا

ها قد مرّت أربعون سنة، أربعون سنة ...

كان بيننا كنزٌ عظيمٌ ونادرٌ، لكنّنا كنّا غافلين عنه ومحرومين من بركاته؛ كنزٌ ساطعٌ من بحر القرآن الحكيم الصافي؛ كنزٌ نورانيٌ من سنخ كتاب النور، كان الكنز لمدّة أربعين سنةٍ مستورًا، وكان غيابه يُعذّب كلّ المشتاقين التائقين إلى معارف القرآن وأهل البيت؛ كنزٌ لا نظير له ولا مثيل يُسمّى «الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي في القرآن»[١].

***

الأيّام هي أيّام أواخر صيف عام ١٣٥٣ش، وإمام الجماعة في مسجد الإمام الحسن المجتبى، الصغير والذي لم يكن قد انتهى بناؤه بعد، والواقع في آخر سوق سرشور المشهدي، يخطّط لبرنامجٍ جديد لهذا

(١) لا بد من الإشارة إلى أن الترجمة الحرفية لعنوان الكتاب هي «الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي في القرآن»، ولكننا استنسبنا عنونة الكتاب بـ «الفكر الإسلامي على ضوء القرآن الكريم» لاعتبارات علمية تراعي واقع لغتنا العربية.

المسجد مع شروع شهر رمضان؛ إنه السيّد علي الخامنئي ذو الـ٣٥ سنة بهامته الشامخة، وعينيه النافذتين قرّر أن يقف خلف المنبر، ويتحدّث لمدّة ساعةٍ واحدةٍ بعد صلاة الظهر والعصر، كلّ يومٍ من أيّام شهر رمضان، والقرآن بيده، وحرارة الخطاب تشتدّ، فالموضوع هو الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي في القرآن.

ومع بداية هذه الجلسات تبدأ مدينة مشهد وكأنها تفور. ففي آخر أيّام الصيف وعند صلاة الظهر، حيث تخلو المدينة تقريبًا والناس ينصرفون إلى وقت الراحة، هناك في زاويةٍ من هذه المدينة كان يحدث نوعٌ من التلاطم العجيب، فالناس رجالًا ونساءً، شيوخًا وشبابًا، يتحرّكون نحو هذا المسجد الصغير من كل حدبٍ وصوب في أرجاء المدينة وفي ذلك الحرّ القائظ، بشفاهٍ ذابلة، وألسنٍ عطشى، يحملهم الشوق إلى هذه المائدة الغنية بالمعارف التي كان يقدّمها لهم هذا السيّد الشابّ في أفضل أيّام السنة في شهر رمضان علّها تروي عطشهم وتسدّ جوعهم إلى المعارف التي تحيي الإنسان.

ومع كلّ يوم يزداد عدد المستمعين إلى هذا العالِم حتّى وصل الأمر إلى أنّه لم يعد هناك مكانٌ في باحة المسجد الكبرى خلف البناء، وإذا تطلّعت إلى الحضور لوجدت كلّ أنواع الشرائح متحلّقين حول هذا المصباح المضيء: من الطلّاب والتلامذة، والتجّار، وأهل المحلّة، وأكثرهم من الشباب.

وفي مجلس السيّد عليّ الخامنئي، كلّ شيءٍ جديد. وقبل بدء الدرس تُوزّع الأوراق المصوّرة على الجميع، والتي فيها مختصر درس اليوم، ولا يجلس الخطيب بحسب العادة على المنبر، بل يقف وراءه؛

ويحدّث الناس كلّ يومٍ بلغةٍ معاصرةٍ لمدّةٍ تتجاوز الساعة، وحرارة الكلام تفوق حرارة الصيف. ثمّ بعد انتهاء الدرس، يجلس قارئ القرآن في مكانه المخصّص له على المنبر ويقرأ الآيات المفسّرة في ذلك الدرس بصوتٍ رخيم. فالخطابة في هذا المسجد تصبح يومًا بعد يوم أقرب إلى الدرس التعليمي منها إلى الخطابة المعتادة.

أمّا الأيّام، فهي أيّام القمع والاستبداد والدكتاتوريّة من قِبل النظام البهلوي، هي سنوات التعذيب والقتل تحت التعذيب. في تلك السنوات المظلمة - في الوقت الذي كان فيه الإمام الخميني مبعدًا - لم يكن هناك إمكانيّة في أيّ محفلٍ ديني للتطرّق ولو بأدنى إشارة إلى القضايا الحسّاسة المرتبطة بنظام الطاغوت، فالمخابرات الملكيّة في أوج قدرتها، وهي تبثّ العيون في كلّ مكان، وقراءة الآيات المرتبطة بالجهاد والنضال تُعدّ جرمًا، وإذا تعرّض الخطيب ولو بآيةٍ قرآنية إلى ذكر بني إسرائيل أو أشار إلى إسرائيل فإنّ مجلسه يُعطّل ويُلقى به في السجن؛ ورغم كلّ ذلك، كان ذاك الشاب الروحاني الذي يؤمّ مسجد الإمام الحسن، كأنّه شيخ النضال. لقد استطاع هذا التلميذ النجيب لمدرسة الإمام الرضا أن يعرف كيف يتحدّث ويدير الكلام بحيث لا يقع فريسة ذئاب السافاك (المخابرات الإيرانيّة في ذاك الوقت) المفترسة. فقد كان يجد لنفسه معبرًا بمنتهى الكياسة والدراية من أجل إيصال نور كلام اللّه، إلى تلك الأمّة التي أُبعدت عن القرآن. لقد كان السيّد الخامنئي يعرض تلك العقائد الإسلامية بدقّةٍ وحنكةٍ عالية، ويبيّنها من خلال القرآن الكريم بحيث بدأ الناس يفكّرون بإقامة ذلك المجتمع الإسلامي بالإضافة إلى تجديد عقائدهم على أساس المعارف القرآنية! لقد بدأ هذا السيّد الشابّ أبحاثه من

الإيمان ووصل إلى التّوحيد، ثمّ توقّف بعد ذلك عند النبوّة ووصل إلى الولاية، ومع نهاية ذلك الشهر المبارك، وصلت هذه الدورة العقائديّة الأصيلة والتي لا نظير لها إلى نهايتها. وقد استطاع هذا السيّد الشابّ أيضًا أن يزرع بذور الإيمان الواعي من تلك الدروس في قلوب شباب مشهد وأرواحهم، وأوجد بينهم وبين القرآن صلحًا جديدًا، وأخرج هذا الكتاب العزيز من غربة علب الزفاف ومجالس العزاء ليضعه أمام عقول الشباب النيّرة المتفتّحة.

وكانت السنون تمرّ والأفكار المنحرفة عن الدين تحرف الناس عن القرآن وتبعدهم عنه تحت حججٍ ومعاذير مختلفة، وتقول لهم أنّ فهم القرآن ليس عمل الناس العاديين، وأنّ على الإنسان أن يقرأ القرآن من أجل الثواب والأجر فقط، وكان هذا الكلام موضع ترحيب تلك الحكومات التي مرّت على البلاد، لكنّ السيّد علي الخامنئي كشف عن هذه الدسائس والمؤامرات وبيّن انحراف الأذهان؛ لقد كان هو بنفسه ممّن حقّق في نفسه ذلك الانجذاب إلى القرآن، فكان عاشقًا لكتاب اللّه، يفتدي القرآن بروحه، وقد عقد العزم على أن يُخرج القرآن من الهجران، لوحده وبهامته الرفيعة، بذلك الكلام الدافئ والبليغ كان يحمل القرآن ويقف خلف المنبر، ويجعل كلّ وجوده في سبيل هذه الكلمات الإلهيّة. لقد أراد أن يحيي الفكر الإسلامي الأصيل ويجدّد حياته من قلب المنبع الإلهي الأصيل، ويجعل هذا المنبع متوفّرًا لقلوب الناس وسلوكهم. وكان يصرخ بوجه الطواغيت الذين عزموا على إطفاء نور هذه المعجزة الأبديّة وحبسها في ذلك التجليد ويقول: «واأسفاه على حال أولئك الذين تبعدهم عن القرآن وتصدّهم عنه لأسبابٍ وأعذار مختلفة ولا تترك الناس يفتحون القرآن من أجل أن يفهموا! واأسفاه على حالهم!

وأنتم أيّها الإخوة والأخوات عليكم أن تعلموا أنّ شغلنا اليوم مع القرآن مثلما قال رسول اللّه: «فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن»، فمتى هو ذاك اليوم؟ ألا ترون الفتن المظلمة كقطع الليل؟ ألا تشاهدون الطرق البديلة التي تُعرض أمام الأعين العمياء والأعين القاصرة؟ ألا ترون قطّاع الطرق من كلّ جانب وبأشكالٍ مختلفة بأعينكم الباصرة؟ إذن متى يحين الوقت ويأتي الزمان الذي نرجع فيه إلى القرآن؟ وإلى متى؟ إلى حين أن يأتي إمام الزمان صلوات اللّه عليه؟ وهو القرآن الناطق؟ إنّ اليوم هو يوم الرجوع إلى القرآن».

وفي النهاية، وبعد مرور عدّة أشهر على انتهاء هذه الدروس وبتبع دروس شرح نهج البلاغة يتمّ اعتقال السيّد عليّ ويُرسل إلى عاصمة الظلم، وهناك يُرسل إلى أشدّ أماكن التعذيب رعبًا في العالم: اللجنة المشتركة لمكافحة التخريب.

***

ها قد مرّت أربعون سنة على ذلك الشهر الذي لا يُنسى؛ وقد بقيت هذه الينابيع الرائعة للمعارف القرآنية طيلة هذه السنوات الأربعين محفوظةً في صدور بضعة آلاف مستمع مشهدي، وبقي كلّ العُطاشى محرومين منها. أربعون سنة لم يبقَ من تلك المعارف القرآنية الأصيلة سوى الخبر وتلك العلامة التي تجعلنا نثق بوجودها وهي الكتيّب المعنون بالأطروحة العامّة للفكر الإسلامي في القرآن. أجل لقد مرّت أربعون سنة وذهبت الفرصة، لكن جاء وجوب سجدة الشكر في النهاية بعد مرور كلّ هذه السنوات وحان الوقت لنفض الغبار عن هذا الكنز والجوهرة النورانيّة وللّه الحمد. ولم

تضف هذه السنوات الأربعون على وقار وجمال هذا الكنز سوى النضارة والحيويّة التي تترشّح من كلّ كلمةٍ من كلماته. وها نحن نفتح الأحضان لهذا الضيف العزيز الذي انتظرناه أربعين سنة؛ إنّه كنز الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي في القرآن الذي يخرج من قلب تلك السنوات المظلمة والسحيقة والمليئة بالقمع من أجل أن يكون في متناول أيدينا اليوم وغدًا وبعد غد، ويبقى حتّى يملأ القلوب بنوره.. واأسفاه على تلك السنوات التي مضت.

كتيّب الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي في القرآن

إنّ «الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي في القرآن»، هو الأثر الخامس المكتوب لحضرة آية اللّه الخامنئي قبل الثورة، والذي طُبع عام ١٣٥٤ بصورة كتيب صغير؛ وهذا الكُتيّب هو مجموع تلك الأوراق التي كانت تُصوّر وتُوزّع في جلسات شهر رمضان لعام ١٣٥٣، بالإضافة إلى تلك المقدّمة التي كتبها السيّد المعظّم قبل طباعته. وتلك المقدّمة كانت تشير إلى ضرورة وأهميّة عرض الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي المبنيّة على القرآن، وهي توضّح لكلّ قارئٍ، الثمار المرجوّة من طرح هذا الموضوع. لكن، بعد أن يقرأ الإنسان هذه المقدّمة ثمّ يرجع إلى المحتوى، يبقى محتارًا ويتساءل إذا كانت هذه المقدّمة للكتاب الموجود بين يديه، فهل أنّ هذا الأفق الواسع الممتدّ هو لهذا الكتيّب المختصر؟! والملفت أنّ هذا الكتيّب رغم اختصاره ووجازته فقد بيّن هذه الأبعاد الفرديّة والاجتماعية للدّين جنبًا إلى جنب، وقدّم استنباطًا جديدًا وبديعًا للقرآن، ولا يبدو أنّه كُتب قبل أربعين سنةٍ. فطريقة الرجوع إلى الآيات كانت تختلف كثيرًا مع العرف السائد في كتابات ذلك الزمان، وبدل الاعتماد

على آيةٍ واحدةٍ كان يختار مجموعة من الآيات؛ فقد كان الكتيّب عظيم المحتوى رغم ظاهره المختصر.

وكلّ قارئٍ تعرّف على ذاك المختصر وشرب منه جرعةً، ازداد عطشه إلى المنبع، فإذا كان هذا هو مختصر الدروس، فكيف كانت تلك الدروس؟ فما كان يصوّره هذا الكتيّب الصّغير عن ذاك الكنز المخفي يبعث على الحسرة والحرمان، وكان هذا العطش يزداد كلما كنا نسمع عن أهميّة تلك الدروس بالنسبة للسيّد نفسه:

«لقد قدّمت ذات يوم في مدينة مشهد بحثًا حول الولاية وقدّمت فيه تصوّرًا جديدًا حول قضيّة الولاية ومعناها، كان الوقت شهر رمضان وكان حديثنا مع الشباب حول التوحيد والنبوّة وغيرها ومن ضمنها الولاية، كان بحثًا قرآنيًا مميّزًا وكاملًا وبعدها طُبع، فقد طُبعت خلاصته في مكانٍ ما، ثمّ بعد الثورة جاؤوا بالدروس الأساسية فرّغوها وطبعوها؛ كانت أبحاثًا جيّدة وجميلة؛ وأنا الآن عندما أنظر فيها أرى أنّها كانت أبحاثًا عميقة». [١٣٦٧هـ].

وفي الواقع، إنّ ما طُبع بعد الثورة كان عبارة عن ستّ جلسات من الثمان وعشرين جلسة والتي تشكّل مجموع الدروس، وطُبعت هذه الجلسات الستّ في كرّاسٍ تحت عنوان الولاية من قبل حزب الجمهوريّة الإسلامية عام ١٣٦٠ ش. ولم تعد موجودةً في متناول الأيدي اليوم.

لقد أصبحنا في حيرةٍ وترقّب ونحن نقلّب صفحات ذلك الكتيّب، وكنّا نريد أن نجد الأصل بأيّ شكلٍ، هناك تعلّقنا بذيل حضرة عليّ بن موسى الرّضا، ذاك الإمام الذي كان شاهدًا على تلك الجلسات، والذي كان التوفيق في تلك الأيّام من مدده

للخطيب والمستمعين؛ لقد كنّا نعلم أنّه إذا كان من خبرٍ فينبغي أن نتلمّسه من مشهد.

كيف وصلت صهباء إلى أشرطة التسجيل؟

مرّت أيّامٌ طويلة والأمل يحدونا بالوصول إلى تلك الدروس وأصبحت أمنيةً تملأ قلوبنا بالدعاء، إلى أن شاهدنا مقابلةً مع السيّد سادات فاطمي، حول نشاطاته القرآنية قبل الثورة، وحول مركز توزيع الأشرطة الذي كان يديره في شارع سناباد، لقد كان هذا السيّد من قرّاء القرآن والأساتذة المميّزين في البلد، والذي كان قبل الثورة من أصحاب مقام القيادة المعظّم والمقرّبين والموثوقين عنده، مثلما بقي بعد الثورة أيضًا.

أشار السيّد سادات فاطمي في تلك المقابلة إلى الدور الإحيائي للقائد المعظّم فيما يتعلّق بالقرآن. وبالطّبع، كلّ من كان يريد أن يتحدّث عن القرآن وعن الأنشطة القرآنية لتلك المرحلة فقد كان ينتهي في حديثه إلى السيّد عليّ ودروسه، وفي مقابلته وصل إلى الحديث عن دروس الأطروحة العامّة وكيف أنّه كان المسؤول عن تسجيل الدروس. فلم نكذّب خبرًا واتّجهنا مباشرةً إلى مدينة مشهد، وما كان عندنا من عنوانٍ سوى مسجد الإمام الحسن المجتبى ومسجد الكرامة، فذهبنا إلى المسجد أثناء الصلاة، وبدأنا نسأل كبار السنّ والشيوخ هناك، وبحثنا عن السيّد سادات فاطمي، وبحثنا عن المساجد الأخرى، وكنّا ننتقل من مسجدٍ إلى مسجد، وهناك التفتنا إلى أنّه ينبغي أن نسعى نحو السيّد مرتضى لا السيّد جواد، فبحثنا وبحثنا حتّى وصلنا إلى محلّ عمل، أو لنقل مركز تعليم القرآن الذي يديره السيّد فاطمي.

فحدّثناه عن تلك المقابلة وذكرنا له ما أشار إليه حول دروس الأطروحة العامّة، فقال لنا أنّ كلّ الدروس قد سُجّلت وأنّ كتاب الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي قد طُبع، ويمكننا أن نصل إلى محتوى الدروس من ذاك الكتاب؛ وعندما قلنا له أنّ ذاك الكتاب لم يكن سوى تلك الأوراق المصوّرة وليس محتوى الدروس، دُهش وتأسّف! فلم يكن يتصوّر أبدًا أن تمرّ أكثر من أربعين سنة على تلك الأيّام والناس لا يعرفون عن محتوى تلك الدروس شيئًا. فسألناه إن كان قد احتفظ بتلك الأشرطة أم لا، فردّ بالإيجاب، لكنّ تلك الأشرطة قد ذهبت إلى المراكز الأساسية لحفظ الوثائق المتعلّقة بالقائد، ولم يعد هناك سوى نسخةٍ واحدةٍ من أشرطة تلك الجلسات.

ولم يتردّد السيّد فاطمي أبدًا من أن يضع تلك الأشرطة بين أيدينا، ونحن إلى حدّ الآن لم نتمكّن من شكره كما ينبغي؛ لقد كان يقوم الآن بذاك العمل وبكلّ تواضع، العمل الذي كان يقوم به قبل أربعين سنة، وهو عبارة عن نشر وتوزيع الأشرطة لكلّ من يرغب. وكأنّه بعد كل تلك السنوات، يأتيه شخصٌ ليطلب منه أشرطة السيّد الخامنئي، فيقدمها له ذلك كما كان يفعل في تلك السنوات قبل انتصار الثورة؛ حفظ اللّه وجوده النوراني والقرآني.

قيمة الكتاب وموقعيّته

كلّ من اطّلع على كتيّب الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي في القرآن، يدرك بدرجةٍ ما أهميّة الكتاب وموقعيّته. ومع كلّ قراءةٍ وتجديد نظر يدرك القارئ أهميّة المحتوى الذي يقدّمه هذا الكتاب.

ولا بأس لأنّ نتعرّض ها هنا وباختصار لأهم خصائص هذا

الكتاب، عسى أن يلتفت القارئ العزيز إلى أهميّة نشره ومطالعته، حتّى يولي هذه المطالعة الوقت المناسب والكافي ويمعن النظر في معانيه أكثر.

إنّ هذا الكتاب يُعدّ كتابًا فريدًا على صعيد بيان الفكر الإسلامي بصورةٍ صحيحةٍ وشاملة. ولهذا الكتاب، امتيازٌ خاصّ يميّزه عن العديد من الكتب التي أُلّفت تحت عنوان «الفكر الإسلامي» أو «أصول العقائد»؛ فأكثر تلك الكتب تولي الأصول الاعتقاديّة للدّين البعد الذهني وتطرحها كمفاهيم مجرّدة وتهتم بالإثبات والإجابة عن الشبهات، بينما يعرض كتاب «الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي في القرآن»، المباحث الأساسية للدّين انطلاقًا من عملية بناء المسؤوليّة والالتزام العملي. فلقد عُرضت، في هذا الكتاب، الأصول الأساسية للعقائد الدينية انطلاقًا من الآيات القرآنية، بطريقةٍ تخرجها عن مستوى المفاهيم الذهنيّة وتمنحها صبغةً عمليّةً. بناءً عليه، فإنّ الميزة الأولى لهذا الكتاب هو أنّه ليس من سنخ الكتابات الكلاميّة التي تدور حول الإثبات والنفي، بل إنّه ينطلق من القرآن الكريم لعرض الفكر الإسلامي ويركّز على بيان المسائل الأساسية للدّين، والتي يشكّل الوعي بها أساسًا لسعادة الإنسان.

والخاصّيّة الثانية لهذا الكتاب هو أنّه يصلح في بيانه ليكون عالميًّا. فلا ينحصر فهمه بالمسلم، بل يمكن لأيّ شخصٍ كان، حتّى لو لم يكن موحّدًا، أن يستوعب أفكاره؛ ومهما كانت عقيدة الإنسان وفكره فإنّه يستطيع أن يدرك محتويات هذا الكتاب؛ لأنّ الأسلوب الذي اعتمده هذا الكتاب في عرضه هو الأسلوب المنطقي البعيد عن أيّ نوعٍ من التعصّب، والذي يتقبّله أيّ صاحب عقلٍ سليم.

والخاصّيّة الثالثة لهذا الكتاب هو أنّه يقدّم تعريفًا جديدًا

للدّين، وهو لذلك لا يقدّمه كمجموعةٍ منفصلة من الأصول الفكريّة والعمليّة، بل يجمع بينهما بصورةٍ متّحدةٍ ووفق نظامٍ خاصّ.

إنّ هذا الكتاب يمثّل وثيقةً لإنجازات حضرة آية اللّه الخامنئي في مجال إحياء الفكر الإسلامي، هذا الفكر الذي كانت قد مرّت عليه السنون فبهُت لونه بسبب بعده عن القرآن والعترة، وأضحت بسبب ذلك تلك المفاهيم الدينية خاليةً من معانيها الحقيقية، لم يبقَ منها سوى القشر والغلاف؛ ولم يعد الدين ذلك النظام والمنهج الجامع، وأضحت المعارف القرآنية منحصرةً في مجال العمل الفردي؛ ولم يعد الحديث عن الأصول الاعتقاديّة رغم كلّ التشّعبات والدقائق المختلفة الموجودة فيه، أبعد من حدود الذهن؛ هذا وإن كان هناك إنجازات وإسهامات مهمّة لبعض المفكّرين الإسلاميين والتي وجّهت الأنظار مجدّدًا إلى الإسلام ومفاهيمه العميقة؛ ولكنّ ما كان ناقصًا أو قليلًا هو الأطروحة الشاملة للدّين، هذه الأطروحة التي لا تختصر الدين في المجال الفردي، بل تمتدّ به إلى الأبعاد التطبيقيّة والعمليّة، مثلما أنّها تتناول الضروريات والأصول الدينية وارتباطها فيما بينها، وكذلك تبحث في تأثير الدين على مصير المجتمعات وقدرته على تعبئة الفراغ الفكري للمسلمين أمام هجمات المذاهب الفارغة والجُزافيّة، وتؤمّن المجال لنفوذ الإسلام في المجتمعات وبين الأحرار من المفكّرين.

لا شكّ أنّ الإمام الخميني (ره) هو من أحيى الإسلام في هذا العصر؛ فمع بداية نهضة الإمام، عاد اسم الإسلام مجدّدًا لينتشر على الألسن وينفذ في القلوب ويحييها. فبعد نفي الإمام شكّل هذا العطش والشوق الذي أوجده الإمام فرصةً مهمّةً لتلامذته المجاهدين كي يبدؤوا عملًا عميقًا على صعيد الفكر والإيمان،

ومن أجل إشادة البنية التحتيّة المحكمة للفكر الإسلامي المحمّدي الأصيل.

لم يكن عرض مثل هذه الأطروحة ميسّرًا إلّا للمفكّر الواعي والمسؤول والعارف بالمفاهيم القرآنية والمطّلع على مقاصد الدين وأهدافه. ولقد شعر حضرة آية اللّه الخامنئي بهذا الفراغ، وبحاجة هذا المجتمع، ومن خلال الإشراف على آثار العلماء المسلمين واللقاءات المستمرّة بعلماء زمانه العارفين بشؤون العصر كالشهيد المطهّري، وبالتسلّط على القرآن والتمسّك به بدأ بعرض أبحاث «الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي في القرآن» في شهر رمضان، وقد كانت هذه الأبحاث بابًا للدّخول في نطاق الفكر الإسلامي بما قدّمته من أطروحةٍ جامعةٍ للفكر التوحيدي، آخذةً بعين الاعتبار القضايا المختلفة للحياة البشريّة، ومثّلت هذه المسألة الخاصّيّة الرابعة لهذا الكتاب.

الخاصّيّة الخامسة للكتاب، هي التطرّق للنّظرة الجديدة والبديعة للمفاهيم الدينية؛ هذا وإن كانت الكلمات كلمات يعرفها المستمعون ويدركونها، لكنّ كلام هذا السيّد كان يبثّ فيها روحًا جديدة. فنظرته إلى المفاهيم الدينية كانت تمنحها أبعادًا جديدة، وكانت تتعرّض بسبب ذلك إلى الانتقاد في ذلك الزمان: «لقد أثار البعض في مدينة مشهد الضجيج ضدّي، لماذا؟ لأنّني تحدّثت حول قضيّة الولاية. في حين أنّ هذا لم يكن إنكارًا لتلك الولاية التي يقولون بها، فهم كانوا يقولون أنّ الولاية هي المحبّة. حسنٌ، نحن نقبل بمحبّة الأئمّة، والولاية تعني إمامة عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نحن نقبل بذلك، لكنّنا اكتشفنا أمورًا أخرى حول الولاية بالإضافة إلى هذه الأمور. لقد جمعت الآيات القرآنية المرتبطة بالولاية. تلك الآيات

التي استُعملت فيها كلمة الولاية، ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَيَةُ لِلَّهِ﴾ [الكهف، ٤٤] مثلًا، وغيرها من الآيات، وقدّمت استنباطًا جديدًا من كلمة «الولاية» في هذه الآيات؛ حسنٌ، كان ينبغي أن يتمّ تقدير هذا الأمر. فلو أنّ شخصًا في عالم الطب، على سبيل المثال، قدّم أطروحةً جديدةً حول الحصبة تضيف شيئًا جديدًا على معلوماتنا السابقة، فكيف سيتعاملون معه؟ لا شكّ بأنّهم سيحترمونه ويقدّرونه ويشكرونه. لكنّنا إذا قدّمنا شيئًا جديدًا أو استنباطًا جديدًا في قضيّةٍ ما من القضايا الدينية، ولو لم تكن تخطّئ ما كان في السابق، فإنّ البعض سينبرون للمخالفة والاعتراض، وما زالت هذه الحالة موجودة إلى يومنا هذا عند البعض». ١٣٦٧ هـ.ش.

الخاصيّة السادسة لهذا الكتاب، هي انطباق مباحثه مع السيرة السياسية النضاليّة للأئمّة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لإقامة الحكومة الإسلامية. فرؤيته حول حياة الأئمّة - والتي تمّ جمعها في كتابٍ طُبع تحت عنوان «إنسان بعمر ٢٥٠ سنة» - كانت سببًا لأن يتوجّه سماحته في مجال النضال إلى ثلاث نقاط على نحوٍ دائم: الأوّل، عرض الإسلام بشكلٍ صحيح؛ والثاني الحديث عن المجتمع الإسلامي والحكومة العلويّة، والثالث، الحديث عن حاكم المجتمع الإسلامي وتوجيه الناس إلى مصداقه الحالي. وقد كان هذا الكتاب أنموذجًا في أسلوبه في النضال المحنّك في تلك الأيّام السوداء. (في النظام السابق وعندما كانت تشتد علينا الأمور وتصعب، وكنت أخطب في مسجد الكرامة أو في مسجد الإمام الحسن في مدينة مشهد، فكّرت في الأمر الذي سيكون التعرّف عليه أمرًا مضرًّا جدًّا للنّظام، ولذلك وبدون أن أشير أدنى إشارة إلى هذا النظام، قمت بعرضه؛ ولم أتعرّض أبدًا في زاويةٍ أو كنايةٍ إلى النظام نفسه. فافرضوا مثلًا

أنّنا في ذلك الوقت قلنا الحكومة العلويّة، فلو كنّا قلنا الحكومة الإسلامية كانوا ليتحسّسوا ويستنفروا، لذا كنّا نقول النظام العلوي أو الحكومة العلويّة. وقد كان كلامي في ذلك الوقت مليئًا بهذا النوع من التعابير. وكأنّنا نضع المنشار تحت جذور ذلك النظام حتّى نقتلعه، لكنّ النظام بأجهزته لم يكن ليلتفت لذلك لأنّنا لم نكن نتعرّض إلى جذعه أبدًا. ١٣٧١.

الخاصّيّة السابعة لهذا الكتاب هو توجّهه الخاصّ إلى العلّة الأساسية للمجتمعات البشريّة والمسلمة: أي ضعف الإيمان. فمن خلال غوره في آيات القرآن العديدة، استطاع أن يعرّف حقيقة الإيمان للمستمعين وبيّن لهم أنّه لو تمّ التعرّف إلى هذا الاعتقاد الواعي والمسؤول فإنّه سيكون مثل الروح التي تنبثّ في الجسم وتسري فيه وتحرّكه وتجعل العقائد حاضرةً في ساحات الحياة والمجتمعات البشريّة، وهكذا يقوم هذا الإيمان بصناعة الإنسان وبناء المجتمع.

الخاصّيّة الثامنة للكتاب، هو دعوته التّوحيديّة على مستوى الأمّة الإسلامية، فقد كان السيّد المعظّم في ذلك الزمان وبالبصيرة الفائقة التي كان يتمتّع بها يدرك جيّدًا الأيادي الاستعماريّة الخفيّة التي تسعى لإيجاد الاختلاف بين الأمّة الإسلامية، لهذا كان يسعى لبيان الأصول الأساسية للعقائد الإسلامية، كالتوحيد وما فيه من دقائق وأبعاد، من أجل تحقيق الأرضيّة المناسبة لوحدة الأمّة الإسلامية مقابل طواغيت الزمان.

ولقد كان سعيه المتواصل من أجل تعليم كيفيّة التدبّر والتعمّق في القرآن الخاصّيّة التاسعة لهذا الكتاب، فقد كان

يختار مجموعةً من الآيات القرآنية من أجل بناء بحثه. وأثناء ترجمة الآيات للمستمعين كان يحثّهم على اكتشاف الروابط الموجودة بين الآيات القرآنية. فأثناء الترجمة والشرح، كان يسير خطوةً خطوةً مع المستمعين ويدعوهم للتأمّل وكشف تلك الروابط القرآنية. وبهذه الطريقة كان يوجد ذلك الاستنباط الجديد والاستنتاج الواعي حول الآيات القرآنية.

والخاصّيّة العاشرة للكتاب هي توجّه حضرة الإمام الخامنئي الخاصّ وعنايته بالشباب. فما يظهر من خطبه في هذه السلسلة من الدروس هو أنّه كان يرى أنّ المخاطب الأساسي فيها هو شريحة الشباب. «إنّني عندما أنظر إليكم أيّها الشباب الأعزّاء من الجامعات، أستحضر مباشرةً مسجد الكرامة، ومسجد الإمام الحسن المجتبى، فكان هناك أمثالكم - قبل ٣٥ سنة - يجلسون ويستمعون إلى دروس تفسير القرآن وتفسير نهج البلاغة ومباني النهضة الإسلامية، فتجري المباحثات والمناقشات وتُدوّن وتُنقل، وكنّا أيضًا ننال نصيبنا من الضرب، فلم يكن الجهاز الطاغوتي المتجبّر في ذلك الزمن يتحمّل أن يجلس طالبٌ حوزوي مع مجموعة من الشباب الجامعيّين ليحدّثهم عن الدين، خصوصًا أنّ محفلنا الجامعي في ذلك اليوم كان محفلًا حميميًّا؛ وكان يغصّ بالشباب وبالطبع إنّ هذه الاجتماعات التي تشاهدونها اليوم بعد الثورة ما كانت لتحدث قبل الثورة في أيّ مكانٍ أو في أيّة مناسبة، لكنّها بالنسبة للقاءات واجتماعات تلك الأيّام لم يكن هناك اجتماعٌ لعلّه على صعيد البلد كلّه، يجتمع فيه طلّاب الجامعات بهذا المستوى والعدد كما كان يحصل في مسجد الإمام الحسن ومسجد الكرامة الذي كنت أنا العبد أطرح فيه دروس التفسير على الجامعيّين.[١٣٨٦].

وراء جميع الخصائص المتفرّدة التي ذُكرت يمكن القول أنّ أهميّة هذا الكتاب، من بين آثار سماحته، تبرز من جهتين: الجهة الأولى، هي أنّ محتوى هذه الدروس من بدايتها وحتّى نهايتها قد كانت بحسب ما أراده سماحته، سواءٌ من حيث اختيار العنوان وهو «الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي في القرآن»، بالنسبة لمجموع الدروس أو للكتيّب الذي طُبع، وكذلك ترتيب أقسامه من الإيمان، والتوحيد، والنبّوة، والولاية؛ وتحديد عنوانٍ لكلّ جلسة، كيفيّة الدخول والخروج من البحث، اختيار الآيات وغيرها، كلّ ذلك كان وفق رأيه.

الجهة الثانية، هي أنّه يمكن القول أنّه لم يكن هناك من بحثٍ ضروري ومهمّ إلّا وأشير إليه في هذه المجموعة من الدروس، والأهم من ذلك هي أنّ هذه الدروس هي في الحقيقة تعبير عن النظام الفكري لسماحته، فخلال هذه الجلسات تمّ تبيّين أسس نظامه الفكري المستنبط من الآيات القرآنية وسيرة الأئمّة. ويمكن أن يتبيّن هذا الأمر أكثر عندما ننظر بدقّة إلى كلماته وتوجّهاته التي برزت في هذه السنوات، فلا يوجد من خطٍّ عامٍّ وأساسي إلّا وقد تمّ رسم أبعاده في هذا النظام، حتّى الآيات التي طُرحت في هذه السلسلة من الدروس هي من الآيات التي غالبًا ما يكرّرها في خطبه وبياناته، لهذا يمكن للقارئ بمطالعة هذا الكتاب أن يخطو خطوةً مهمّة نحو التعرّف إلى النظام الفكري لسماحة القائد.

«ذهبت قبل عدّة سنوات إلى مشهد، وهناك قدّم لي أحد زملائي القديمين - الذي كان مشاركًا لنا في أبحاثنا الخاصّة والعامّة كثيرًا، والآن نراه كثيرًا أيضًا، وقال لي أرجو منك أن تستمع إلى هذا الشريط عندما تكون في السيّارة؛ فقلت له: حسنٌ جدًّا؛ وضعت الشريط وإذا بي أسمع مقتطفات من خطاباتي وكلماتي

طيلة السنوات الطويلة وفيها التصوّر المستقبلي والوعد بالمستقبل وتناول الحكومة العلويّة، وكأنّه كان يريد أن يسألني هل أنّني ما زلت على هذا الخطّ الذي رسمته سابقًا. بالتأكيد، كما نقول نحن، فإن إشكاله غير وارد، فقد رأيته بعدها وقلت له إنّ إشكالك هذا ليس واردًا، فإذا كنت أريد الآن أن أتحدث في ذاك المقام فإنّني سوف أذكر تلك الكلمات نفسها وكلامي لم يتغيّر. أنا العبد، كان لي ذات شهر رمضان وفي مسجد الإمام الحسن في مدينة مشهد دروسٌ متتالية لمدّة ثلاثين يومًا، وفي تلك الأيّام ما كان يُعتنى كثيرًا بتسجيل الخطابات، ولكن هذه الدروس الثلاثين، قد تمّ تسجيلها جميعًا؛ وهذه الخطابات تُعدّ مصدرًا جيّدًا من أجل معرفة خلفيتنا. وقد تمّ تناول قضايا الإيمان والتوحيد والإمامة والنبوّة والولاية وغيرها من المباحث الأساسية في هذه الدروس وهي الآن مورد تأيدي وقبولي. وقد كانت هذه الأفكار بمنزلة الأسس الفكريّة لإيجاد نظامٍ إسلامي؛ هذا وإن كنّا في ذلك الزمان لا نتوّقع أبدًا أن يتحقّق النظام الإسلامي في السنوات الستّ أو السبع الآتية؛ لقد كنّا نقول في أنفسنا لو لم يتحقّق هذا النظام ولو بعد خمسين سنة ففي النهاية تمّ إرساء أسسه الفكريّة؛ فلقد كان هذا العمل منحةً لتوجيه أفكار الجيل الشاب في ذلك الزمان». [١٣٨١].

***

وبتعداد هذه الخصائص المتفرّدة لـ«الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي في القرآن»، يتّضح جيّدًا أنّ الكتاب الحالي وهو كتابٌ غنيٌ جدًّا بلحاظ المحتوى؛ وبسبب قلّة الوقت نحسب أنّ سماحته كان يمرّ على بعض المطالب بطريق الإشارة، في حين كان هذا المطلب أو ذاك بحاجة إلى المزيد من الشرح، فتكثّر هذه الموارد

وإرجاع المستمعين - من قبل سماحته أثناء تلك الدروس - إلى القرآن والمصادر الروائيّة جعلنا نعزم على إعداد ما نعبّر عنه بكتاب مساعد لهذا الكتاب. وسوف يكون شرحًا تبيينيًّا «للمفاهيم التي تعرّض لها سماحته في هذا الكتاب بصورةٍ مفصّلة أو مختصرة»، ففي هذا الشرح التبييني للمفاهيم بالإضافة إلى الاستمداد من آيات القرآن الكريم، والروايات المعتبرة وخصوصًا كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة، والأدعية وخصوصًا في الصحيفة السجّاديّة، وفي بعض المقاطع المناسبة تمّ التعرّض لتلك النكات اللغوية والتاريخيّة المذكورة.

بناءً على تصريح سماحته في هذه الجلسات وقبل البدء بهذه الدروس، بأنّه كان ينوي بالإضافة إلى هذه المطالب المذكورة في الكتاب الحالي، التعرّض للحديث عن المعاد؛ فبسبب عدم وجود الوقت الكافي لهذا المبحث، كان لدينا توجّه لإعداد فصل خاصّ تحت عنوان المعاد في هذا الكتاب المساعد وأن نفتتح ونعدّ هذا الفصل بالاستفادة من كلماته الأخرى في هذا المجال.

وهذا الكتاب سيكون من نوع التعليم الذاتي بالنسبة للراغبين الذين يريدون أن يغوصوا في أبحاث هذا الكتاب ويتعمّقوا ويتوسّعوا؛ بالإضافة إلى أنّه سيكون كتابًا مساعدًا للمعلّمين الذين يريدون تدريس فصوله.

أسلوب تنظيم الكتاب

لا ينبغي للقارئ أن ينسى أنّ هذا المضمون الجديد والبديع قد تمّ عرضه قبل أربعين سنة. وهذا الأمر من شأنه أن يظهر عظمة هذا

العمل والمزيد من عظمة فكر صاحب هذا الكتاب. لقد سعينا أن يكون ظاهر هذا الكتاب بالمقدار المقدور مشابهًا لكتب تلك الأيّام دون أن يعرض لمحتواه أيّ ضررٍ. ولهذا، كان الخطّ والإخراج الفني، وبدايات الصّفحات، ولون الأوراق وحتّى خطوط الآيات القرآنية كلّها بما يتناسب مع تحقيق هذا الأمر؛ مثلما كان يجب أن يكون محتوى هذا الأثر مظهرا لمن يلقي هذه الجلسات بصورة متسلسلة بأسلوبه الخاص؛ حتّى أجواء الدّروس والإمكانات المحدودة ومكان إلقاء هذه الدّروس كان علينا أن نحافظ عليها قدر المستطاع. لهذا سعينا أن نحافظ على ترتيب هذه الدّروس في هذا الكتاب ومنهج عرض مطالبه وأسلوب خطابه، وحتّى تلك الأمور التي لا ترتبط بالمحتوى، بل وأدرجنا تلك الأوراق التي كانت تُصوّر في تلك الأيّام أيضًا.

***

لقد تمّ العمل من أجل تنظيم محتوى هذا الكتاب على عدّة أمور:

١. إنّ البنية الأساسية للكتاب تتشكّل من خلال تسلسل وترتيب محتويات هذه الدروس جنبًا إلى جنب. فللكتاب أربعة أقسامٍ أساسية تحت عنوان: الإيمان، والتوحيد، والنبوّة، والولاية. والتي جاءت في ذيل كلّ قسمٍ من هذه الجلسات. ومن أجل حفظ الهويّة المستقلّة للدّروس، فقد تمّ إدراج رقم الجلسة وعنوانها وتاريخ إلقاء الدرس أيضًا بداية كلّ درسٍ، ويمكن أن نعرف نهاية كلّ درسٍ من خلال الصّفحة التي كانت تُصوّر وتوزّع على الحاضرين.

٢. من أجل الحفاظ على مسار الكلام في الدرس، مثلما قام سماحته ببيانه؛ اجتنبنا أيّ نوعٍ من تقطيع كلامه ووضع العناوين؛ لهذا، سيستشعر القارئ بسهولةٍ كيفيّة سير الكلام في كلّ درس، وذلك من بدايته وكيفيّة تناول المطالب واحدًا تلو الآخر، وبالإشارة إلى موضوع الدرس، وشرح وتوضيح هذا الموضوع والاستفادة من الأمثلة المختلفة والوصول إلى النتيجة، والدخول إلى القسم المتعلّق بتفسير الآيات واستخراج المفاهيم التي تمّ توضيحها من الآيات نفسها.

٣. لم يتمّ تسجيل الكلام الذي تقدّم في كلّ درسٍ في أكثر الأشرطة المسجّلة. ونسمع في بعضها سماحته يبتدئ الدرس بتلاوة عدّة آياتٍ مختارة لذلك الدرس. ونحن ومن أجل أن يكون لكلّ الدروس بدايةً واحدةً، فلقد بدأنا كلّ درسٍ بالآيات القرآنية وذلك باعتماد أسلوب سماحته في تلاوة الآيات القرآنية في تلك الدروس التي تمّ تسجيلها. لكن بما أنّنا لم نرد أن يتصوّر القارئ أنّ سماحته قد قرأ هذه الآيات حين لم يقرأها فإنّنا أدرجنا الآيات بصورةٍ متفاوتة.

٤. ولأنّ نهاية كلّ درسٍ كانت تختلف كثيرًا عن الدرس السابق، فإنّنا لم نقدم على جعل النهايات متشابهة. وفي بعض الدروس نجده يدعو قارئ القرآن لتلاوة القرآن.

٥. إنّ أسلوب كلام سماحة القائد في هذ الكتاب، يختلف نوعًا ما عن أسلوبه وبيانه وطريقة كلامه في مرحلة القيادة. وحيث أنّ كلّ ما ورد في هذا الكتاب يرجع إلى عام ١٣٥٣ شمسي، فقد كنّا بصدد الإبقاء على أسلوبه في إيصال الأفكار إلى المخاطبين.

ومثل هذا الأمر المهمّ، غير ميسّر دون مصاحبة الصوت، لهذا كان الأمر بالنسبة لنا صعبًا. ففي تلك السنوات كان أسلوب حديث سماحته هو أسلوب الخطيب الثوري الذي يقف خلف المنبر ويتحدّث بمنتهى الحماس والحرارة، وأمامه مجموعة من الشباب. فقد كان حديثه حاميًا وبليغًا وكلماته جديدة وجذّابة، وفي الوقت الذي كان يتحدّث عن المفاهيم الدينية العميقة بكلّ حميميّةٍ وانسياب، فإنّه كان يشجّع المستمعين على التفكّر أيضًا. وفي الوقت نفسه الذي كان سماحته أديبًا مقتدرًا فإنّ كلامه كان مليئًا بضرب الأمثال والمصطلحات والأشعار، ولهذا كان نطاق استخدامه للألفاظ واسعًا جدًّا؛ لهذا فقد سعينا جهدنا إلى إدراج تلك العلامات الإخراجيّة الدّقيقة وأتينا على ذكر معاني الكلمات والمصطلحات من أجل أن نحافظ على أسلوب كلام سماحته بأفضل صورة وننقلها إلى القرّاء.

٦. ومن الموارد الأخرى التي تساعد كثيرًا على نقل أجواء الدروس وظروف تلك المرحلة هي تلك المطالب الهامشيّة التي كان سماحته يعرضها في الدروس أو أثناء حديثه. وإذا كنّا نريد أن نحافظ على هذه الأمور داخل البحث المرتبط بالدروس فقد كان هذا يؤدّي إلى إيجاد وقفات في هذا البحث، وفي بعض الموارد كان يؤدّي إلى فقدان سياق الكلام؛ من جانبٍ آخر، فقد أشار سماحته في بعض الموارد إلى نكات يؤدّي الاستماع إليها إلى إيجاد عذوبة خاصّة في ذهن المستمع ويطلعه إلى حدٍّ ما على ظروف تلك المرحلة، ولأجل ذلك نحن أدرجنا هذه المطالب في هذا الكتاب، أيضًا، وفي الوقت نفسه لم ننحرف عن البحث الأساسي للدّروس؛ ولهذا جعلناها داخل قوسين،

وبخطٍّ مختلف؛ لهذا فإنّ القارئ المحترم يمكنه أن يتجاوز هذه النكات عند الوصول إلى القوسين ويستمرّ بقراءة المطلب، أو أن يطالعها من أجل أن يأخذ نفسًا أثناء القراءة.

٧. من الضروري، وبالتوجّه إلى المحتوى العميق والغزير لهذا الكتاب، وحفظ أسلوب الدروس والحواشي في المتن، أن نحذّر ها هنا، القارئ من أن يطالع الكتاب بصورةٍ سريعة. فمن أجل الوصول إلى أسلوب الكلام من المناسب أن تتّم مطالعة هذا الكتاب بهدوءٍ وعلى وتيرةٍ مناسبة؛ لا سيّما أنّ سماحته كان يسعى لأن يجعل المستمع متماشيًا معه في حديثه من خلال تبديل أسلوب الكلام ولحنه، والإتيان بالجمل المعترضة والأسئلة والتنبيهات وغيرها؛ لهذا، ومن أجل الالتفات إلى لحن الكلام يبدو أنّ على القارئ أن يجتنب المطالعة السريعة لهذا الكتاب.

٨. من الأقسام الأخرى لهذا الكتاب تلك الصفحات المصوّرة التي كانت تُقدّم للحاضرين عند بداية كلّ درس، وقد أدرجنا هذه الصفحات المصوّرة في نهاية كلّ درس؛ وقد كان سماحته يعطي هذه الصفحات التي ينبغي تصويرها لأحد الأشخاص الذي كان عليه أن يكتبها بخطٍّ جميلٍ من أجل أن تُصوّر. ومن خلال فحص الخطوط التي كُتبت بها هذه الأوراق المصوّرة، تبيّن لنا أنّ هناك أكثر من شخص قد كتبوا هذه الأوراق. ومن خلال جعل عيّنة واحدة لهذه الأوراق المصوّرة - من ناحية الخطّ والظاهر - وبالاستفادة من المتن الذي اعتُمد لاختصار الدروس في كُتيّب «الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي»، قمنا فقط

بترميم عشر أوراق مصوّرة جعلناها في نهاية هذه الدروس. وقد قمنا بتصحيح تلك الأخطاء الموجودة في الأوراق المصوّرة أيضًا وخصوصًا تلك الآيات القرآنية. ومن النقاط الملفتة في تلك الأوراق المصوّرة أنّه تمّ تحديد ثمن كلّ ورقة في آخرها، وبالتأمّل في هذه المسألة يمكن أن نتصوّر أنّ ثمن الورقة كان عبارة عن ريال واحد وأنّ كلفة تصوير كلّ صفحة هو ريال آخر.

٩. إنّ البنية الأساسية للكتاب ومسار عرض مطالبه قد تشكّل من خلال عرض الدروس بصورةٍ متتالية، لكنّ أسفنا على أنّنا لم ندرج المقدّمة التي كتبها سماحته على كُتيّب مجموع الأوراق المصوّرة، فكلّ من يطالع مقدّمة كُتيّب «الأطروحة العامّة للفكر الإسلامي» ثم يتأمل في الكتاب الحالي فسوف يؤمن أنّ تلك المقدّمة قد كانت لهذه الدروس وهي تتناسب مع محتواها، أكثر من أن تتناسب مع حال ذلك الكتيب. وعندها سوف يكون حال البنية الأساسية للكتاب وسياق محتواه قد تطابق مع ترتيب الدروس، لكن نتحسّر على أنّ لا نورد في هذا الكتاب تلك المقدّمة التي كتبها سماحته لنشر كتيّب مجموع الأوراق المصوّرة. فإنّ أيّ شخصٍ يطالع تلك المقدّمة سوف يتأكّد تمامًا بعد الاطّلاع على هذا الكتاب، أنّ تلك المقدّمة تتناسب مع هذه الدروس ومحتواها أكثر من ذلك الكتيّب، وسوف يستعذب المخاطب عند مطالعة الكتاب أن يرجع عدّة مرّاتٍ ويقرأ مقدّمة المؤلّف. وكان هذا الأمر - مع المرور على الأهداف المذكورة في المقدّمة - سببًا لأن نستفيد مرّةً أخرى ممّا طالعه ويتمكّن من الاستمرار في مطالعة الدروس بمزيدٍ من الدقّة.

١٠. حيث أنّ الآيات الواردة في متن الكتاب قد قُطّعت أو أنّه أثناء

ذكر الآية يأتي على مثال كشاهد، من الممكن للقارئ أن يعاني في تحديد الآية بصورةٍ صحيحة، لأجل ذلك جعلنا الآيات بخطٍّ خاصّ وداخل قوسين، وثانيًا، ذكرنا السند الذي يحدّد الآية والسورة في القرآن الكريم عند الانتهاء من الآية أو عند قراءتها من قبل سماحته وأثناء ترجمتها. وكذلك تمّ تشخيص الروايات ولم نذكر سندها داخل المتن لأنّنا ذكرنا مصادرها في الهوامش.

***

ها هو قائدنا الأعزّ من أرواحنا، تحت ظلّ عناية الوجود المقدّس والعطوف لحضرة الإمام الرضا عليه آلاف التحيّة والثناء، حيث أنّ كلّ ما لدى شعبنا من بركات إنّما هو من شمس طوس. وها هي دار صهبا للنّشر قد بدأت أوّل خطوةٍ بالتوسّل بحضرة عليّ بن موسى، وصارت ترتوي من كأس عتبته المقدّسة، حتّى تمكّنت من أن تتحرّك على طريق تحقيق هذا التكليف الثقيل بإيصال معارف وأنوار هذا القائد وهذه الهديّة الرضويّة إلى كلّ المشتاقين والعطاشى، ونسأل اللّه أن يكون هذا العمل مورد رضا صاحب العصر الزمان بتوجّه وعناية حضرة الإمام الرضا. اللهم لك الحمد ولك النعمة ولك المنّ.

الأيّام الفاطميّة، ١٤٣٤ هجري
فروردين ١٣٩٢ شمسية

مقدّمة المؤلف

إن عرض الإسلام بشكله المسلكي الاجتماعي مع امتلاكه للأصول المنسجمة والمتناغمة ذات الأبعاد الشاملة للحياة الإنسانية يعتبر اليوم من أولى الضروريات للفكر الديني.

لقد كانت الأبحاث والتحقيقات الإسلامية قبل اليوم في الغالب فاقدةً لهاتين الخاصيّتين فائقتي الأهمية مما كان يجعل الباحثين والمحققين في عملية مقارنة الإسلام بالمدارس والمسالك الاجتماعية العصرية كما ينبغي، غير قادرين على الوصول إلى نتيجة مثمرة وحكم قاطع. وبتعبير آخر يبقى هؤلاء عاجزين عن عرض هذا الدين بصورة مترابطة ومتحدة الأجزاء ومقارنته بسائر المدارس والأديان.

إضافة إلى أن الأبحاث بشكل عام ذهنية (فكرية) وتنجز في محيط بعيد عن التأثير العملي والواقعي وخاصةً الاجتماعي، وهي لا تؤدي إلّا إلى المعرفة الذهنية، وهي لا تبين الالتزام والتكليف أو النظرية الواضحة بالنسبة للحياة الاجتماعية الإنسانية وخاصةً بالنسبة لتعيين شكل ومحتوى المجتمع.

وكلمة أخرى وهي أن القرآن - ذلك السند القاطع واليقيني

للإسلام - في أكثر الموارد لم يجد حظًا للبحث والبيان، وبدلًا منه استعيض بالأبحاث والتعمقات شبه العقلية أو الروايات والمنقولات الظنية، وأحيانًا باعتبار أكثر. وكانت النتيجة أن الأفكار العقائدية المنفصلة عن القرآن واللامبالية به نشأت ونمت وتشكلت. ولعل هذا الانفصال وعدم الاعتناء أو الشعور بعدم الحاجة واليأس من إمكانية الاستفادة الصحيحة، وكل واحدة منها ناشئة من عوامل خاصة، أدت إلى ترك التدبر في الآيات القرآنية والاستعاضة عنه بالقراءة والتلاوة الأخروية، وهكذا أصبح الكتاب الإلهي الكريم في معرض العامة والخدع.

وبالالتفات إلى هذه الواقعية يمكن أن نعتبر بشكل ملخص ثلاث خصوصيات مهمة في الأبحاث الفكرية الإسلامية كضرورة يعد التخلف عنها غير لائق بالمفكرين الواعين والمسؤولين في هذا العصر:

الأولى: إن المعارف والأنظمة الإسلامية خارجة عن التجرد والذهنية المحضة - مثلها مثل كافة المدارس الاجتماعية - وهي ناظرة إلى التكاليف العملية وخاصة في الحياة الاجتماعية، ولهذا ينبغي التأمل والتحقيق في الخطوط التي تعرضها لحياة الإنسان وهدفه في هذا الوجود وطريق وصوله إلى هذا الهدف.

الثانية: مطالعة المسائل الفكرية الإسلامية بصورة مترابطة وكأجزاء لوحدة واحدة، ودراسة كل واحدة بلحاظ أنها جزء من مجموع الدين وعنصر من هذا المركب وركن من هذا البناء، وهي مرتبطة بالأجزاء والعناصر الأخرى، حتى يتم من معرفة هذه الأصول استنتاج الخطوط العاملة والشاملة للدين بصورة إيديولوجية كاملة

غير مبهمة ذات أبعاد متناسبة مع حياة الإنسان ذات الأبعاد المختلفة أيضًا.

الثالثة: عند استنباط وفهم الأصول الإسلامية ينبغي الاعتماد على المتون والمصادر الأساسية للدين دون الآراء والتحليلات الشخصية أو الإلقاءات الفكرية من هنا وهناك، حتى تكون نتيجة البحث «إسلاميةً» بحق ولا غير. ولأجل تحقيق هذا الهدف، فإن القرآن هو أكمل وأوثق سند يمكن الاعتماد عليه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ و«فيه بيان لكل شيء» وبالطبع في ظل التدبر العميق الذي أمر القرآن به.

ما جمع في هذه الرسالة نموذج من هذا السعي لتأمين هذه الأهداف بشكل تقرير عن الإسلام في سلسلة محاضرات، وقد سعينا في هذه المحاضرات أن نبحث في أهم الأصول الفكرية للإسلام في أكثر أبعاده بناءً وحيويةً من خلال آيات القرآن المبينة. وضمن الشرح المبين الذي يعلم القرّاء كيفية التدبر والتعمق في القرآن حددنا الأصول المذكورة في الآيات واستفدنا في الأماكن اللازمة من الروايات الصحيحة الصادرة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لأجل التوضيح والتأكيد لتتبيّن من خلال التأمل والتدبر في الآيات القرآنية أصول الإسلام أيضًا من الناحية العملية والتكليفية كإحدى نقاط أسلوب التفكر والأيديولوجية في الإسلام.

١٣٩٦هـ.ق.